مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i2.235

دلالات مصطلح الصبر ومشتقاته في اللغة واستعمالاته ضمن السياق القرآني

الباحث:

الدكتور علي يوسف عوض الرواشدة، محاضر غير متفرغ، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة ال البيت، الأردن.

البريد الالكتروني: alialrawshdeh@yahoo.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٠٨ جمادى الاولى ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٦ جمادى الاولى ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٧)

الملخص: يتناول هذا البحث دلالات مصطلح الصبر ومشتقاته في السياق القرآني، من خلال مقاربة دلالية وسياقية تهدف إلى الكشف عن أبعاد هذا المصطلح بوصفه عنصرًا بنيويًا فاعلًا في بناء الخطاب القرآني. وقد ركّزت الدراسة على تتبع جذره في مواضعه المختلفة في المعاجم اللغوية وضمن سياقه القرآني، وتحليل السياقات التي ورد فيها، للكشف عن العلاقة بين المعنى والمقام، وإبراز الأثر الذي يحدثه السياق في تشكيل دلالة المصطلح وتوجيه وظيفته الخطابية والرسالية، وقد بيّنت الدراسة أن الصبر في القرآن ليس مفهومًا جامدًا يُستدعى في مواضع الضيق فحسب، بل هو قيمة كليّة ترتبط بالإيمان، والجهاد، والدعوة، والتكليف، والتزكية، والجزاء، وتشكّل خيطًا ناظمًا في عدد من السور. وبهذا، تسهم هذه الدراسة في تعميق الفهم لمعاني الصبر في القرآن، وتدعو إلى إعادة النظر في كثير من الانماط التربوية التقليدية التي اختزلته في مجرّد التحمل السلبي للابتلاءات. ولكي تكتمل الصورة وضوحاً يتطلب: استقراء موارد المصطلح في القرآن الكريم من حيث: الإحصاء المتمثل بمواطن الورود في القرآن الكريم، ومن حيث: وصف صيغ الاشتقاقات التي ورد بهما، وتحليل معطيات هذه الموارد من حيث الحجم والشكل، ثم الانتهاء إلى تحليل معانيهما الجزئية المتضمنة في كل مورد، وفي حال معرفة هذه الأمور سالفة الذكر، سيتم على غرارها بيان ووضوح مفهوم مصطلح الصبر في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الاصرار، التحمل، الثبات، عدم الجزع والشكوى.

The Connotations of the Term Patience and Its Derivatives in the Language and Its Uses Within the Qur'anic Context

ABSTRACT: This study examines the connotations of the term "patience" and its derivatives in the Qur'anic context, using a semantic and contextual approach to reveal the dimensions of this term as a practical structural element in the construction of Qur'anic discourse. The study focused on tracing its roots in various linguistic dictionaries and in its Qur'anic context, and on analyzing the contexts in which it appears. This helps reveal the relationship between meaning and context, highlighting how context shapes the term's meaning and directs its rhetorical and missional function. The study demonstrated that patience in the Qur'an is not a rigid concept invoked only in times of distress. Instead, it is a universal value linked to faith, jihad, dawah, obligation, purification, and reward, forming a common thread across several surahs. Thus, this study deepens understanding of the meanings of patience in the Qur'an and calls for reconsideration of many traditional educational approaches that have reduced it to mere passive endurance of trials. In order to complete the picture with clarity, it is required to: examine the resources of the term in the Holy Quran in terms of: statistics represented by the places where it occurs in the Holy Quran, and in terms of: describing the forms of derivations in which they appear, and analyzing the data of these resources in terms of size and form, then concluding with an analysis of their partial meanings included in each resource. If these aforementioned matters are known, the concept of the term patience in the Holy Quran will be explained and clarified similarly.

Keywords: Complaining, Endurance, Impatience, Persistence.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: تُعدّ الدراسات القرآنية من أشرف ميادين المعرفة التي اشتغل بها العلماء قديمًا وحديثًا، لما لها من صلة مباشرة بفهم الوحي، واكتشاف مراد الله من خطابه لعباده، وتحديد المنهج الذي يُراد للإنسان أن يسير عليه في دنياه وآخرته. وقد تنوعت هذه الدراسات وتعددت مسالكها، فتناول بعضها البنية العامة للسورة، واهتم بعضها بموضوعات القرآن الكبرى، وخصّ بعضها المصطلحات القرآنية بالدرس والتحليل، نظرًا لما تمثله من مفاتيح أساسية لفهم النص، وتلمّس معانيه العميقة، وربط أجزائه بوظيفته التربوية والرسالية.

وما مصطلح "الصبر" ومشتقاته في السياق القرآني، إلا واحد من هذه المباحث المصطلحية ذات الطابع التفسيري الدقيق، حيث يُعدّ الصبر مفهومًا مركزيًا يتكرر ظهوره في عشرات المواضع، وتتنوع دلالاته بحسب السياق الذي يرد فيه. فهو لا يُذكر في القرآن على نحو عابر، بل يأتي مرتبطًا بتكليف أو مقام أو ابتلاء أو وعد أو ترقٍّ في مدارج الإيمان، مما يجعل دراسته مدخلًا لفهم جوانب أساسية من بنية الخطاب القرآني. وقد ورد في القرآن الكريم بصيغ وأنواع ومفاهيم عدة، فمنه ما جاء بمعنى الصيام، والإصرار والثبات، ومنه ما جاء بمعنى الرضا وعدم التضجر والشكوى....الخ، فجاء هذا البحث؛ ليبرز هذه الأهمية ويكشف هذه المفاهيم والمعاني حسبما وردت في سياق الآيات الكريمة.

لقد حُضيت دراسة المصطلح القرآني بين أوساط العلماء والباحثين قديماً وحديثاً باهتمام بالغ مما أدى إلى تطور الدراسات القرآنية، وجعلها أكثر فهماً وتدبراً لكتاب الله العزيز، وساهم في تنمية التراكم المعرفي داخل مجال دراسة مفاهيم المصطلحات في القرآن الكريم، كما أن القرآن الكريم فتح للعقلية الإنسانية أبواباً معرفيةً جديدةً مفتاحها المصطلحات الجديدة، على اعتبار أن كل مصطلح يحمل من وجهٍ قضيةً معرفيةً كبرى ينطوي على بُعدٍ نفسيٍّ يتجلى فيما يحمله المصطلح من طاقة تأثير على النفوس، من شأنها أن تُعبئها لاستيعاب المعاني التي وضعتها استيعاباً إيمانياً عميقاً، وأن تستنفرها للعمل من أجل تطبيقها في الواقع. ومن هنا تتبين أهمية تحديد المصطلحات القرآنية في تأطير المعرفة الإسلامية بحدود الشرع، وضمان هدايتها للسلوك القويم والعمل الصالح؛ لأن صلاح العمل من سلامة العلم والمعرفة من الخلل، وهذه مترتبة على سلامة المصطلحات الحاملة لها من سوء الفهم.

أما الأسبابُ التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

فتتلخص بالأمور الآتية:

١. استجابة لنداء الله تعالى في فهم القرآن الكريم، لقولة وتدبره تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١]. والإسهام الفاعل في خدمة كتاب الله العزيز، من خلال توضيح المعاني والألفاظ الواردة في آياته العظام.

١ – سورة ص، الاية: ٢٩.

٢. بيان دلالات لفظ "الصبر" في القرآن الكريم ومعانيه، وأنه أشمل من كونه ينحصر في معنى الثبات والإصرار على الحق، والتحمل، وما يؤديه هذا الفهم من تأثير ملموس على حياة الفرد والمجتمع في كافة مجالات الحياة.

٣. محورية الصبر في البناء الإيماني والتربوي: إذ يُعدّ الصبر من القيم المركزية في القرآن الكريم، ويرتبط بالإيمان والعبادة والجهاد وسائر مجالات الحياة.

٤. الحاجة إلى دراسة دلالية سياقية: إذ غالبًا ما يُتناول الصبر بوصفه قيمة أخلاقية عامة، بينما تهدف هذه الدراسة إلى تحليل المصطلح في ضوء السياق القرآني للكشف عن أبعاده المتعددة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية منها:

١. ترسيخ المفهوم الصحيح لمصطلح "الصبر "في القرآن الكريم، وكشف الغطاء عن دلالاته ومعانيه؛ لتحصيل المقاصد التابعة له، والتأصيل لمفهومه.

٢. تحليل دلالات الصبر ومشتقاته في السياق القرآني، والكشف عن أبعاده المتنوعة وفقًا لسياقات الورود المختلفة.

٣. تمييز الوظيفة الخطابية لمصطلح الصبر، في ضوء البنية الموضوعية للآيات والسور التي ورد فيها، وربطه بالمقاصد القرآنية العامة.

٤. الإسهام في تطوير منهج دراسة المصطلحات القرآنية من خلال اعتماد السياق كمدخل أساسي في الكشف عن المعاني.

مشكلة البحث وأسئلته:

رغم كثرة ما كُتب حول الصبر في القرآن الكريم، فإن أغلب الدراسات تناولته بوصفه قيمة أخلاقية عامة دون الوقوف على تحولاته الدلالية في السياقات المختلفة، أو استجلاء وظائفه الخطابية في ضوء البنية القرآنية. وهذا ما يدفع للتساؤل عن الكيفية التي يوظف بها القرآن الكريم مصطلح الصبر ومشتقاته، وعن الأبعاد الدلالية التي يكتسبها المصطلح بحسب سياق الورود، وما يكشفه ذلك من معانٍ مركبة ووظائف متنوعة. أما ما يتعلق بأسئلته سيجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

١. ما دلالات مصطلح "الصبر" ومشتقاته في ضوء السياقات القرآنية المختلفة؟

٢. كيف تسهم البنية السياقية للآيات والسور في تحديد المعنى الوظيفي لمصطلح الصبر؟

٣. ما أبرز الفروق الدلالية والسياقية بين استعمالات المصطلح في المجالات الإيمانية والتشريعية والتربوية؟

٤. إلى أي مدى يُمكن اعتماد السياق القرآني مدخلًا لتوسيع فهم المصطلحات القرآنية وتحريرها من الجمود الاصطلاحي؟

٥. هل لفظ "الصبر "مقصور على معنى الثبات والتحمل فقط، أم يتعدى إلى أكثر من معنى؟

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات موضوع الصبر من زوايا متعددة، فقد ركّزت أغلبها على الجانب الأخلاقي والتربوي لقيمة الصبر، باعتباره فضيلة مركزية في الحياة الإسلامية، حيث تناولت كيف يُرسّخ الصبر في النفس البشرية كقوة معنوية تواجه المحن

والابتلاءات. ومن هذه الدراسات ما كان يسلط الضوء على الصبر كعنصر أساسي في بناء الشخصية المسلمة، أو كقيمة تربوية يحرص القرآن الكريم على ترسيخها في أذهان المؤمنين.

ومع ذلك، فإن معظم هذه الدراسات اقتصرت على التناول العام للمصطلح، دون التعمق في البعد الدلالي المتعلق بالسياق القرآني، أو دون استثمار السياق لتحليل المتغيرات المعنوية التي قد يكتسبها المصطلح بحسب موقعه في النص القرآني. ونادرًا ما وجدت دراسات تعتمد المنهج التحليلي السياقي الدقيق الذي يُظهر كيف تتنوع وظائف الصبر ودلالاته تبعًا للسياقات المختلفة. ومع هذا سأذكر أهم الدراسات السابقة المحددة التي تناولت موضوع الصبر مع مراجعها الأكاديمية للأمانة العلمية ومن اهمها:

١. القرضاوي، يوسف (١٩٨٩م) كتاب الصبر في القرآن، ضمن سلسلة أبحاث في التفسير الموضوعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط :٣، ١٩٨٩م. تناول الباحث الصبر من الناحية الموضوعية بشكل عام.

٢. القرشي، محمد سعيد. (٢٠٠٥). الصبر في القرآن الكريم: دراسة لغوية ودلالية. القاهرة: دار المعارف. تناول الباحث الصبر من الناحية اللغوية والدلالية، مع التركيز على معانيه المختلفة في القرآن، لكنه لم يعتمد المنهج السياقي التحليلي بعمق.

٣. العطار، عبد الله بن أحمد. (٢٠١٢). الصبر في الفكر الإسلامي: دراسة تربوية. مجلة دراسات إسلامية، العدد: ٢٨، ص: ٤٥–٦٨. ركزت الدراسة على الصبر كقيمة تربوية وأثره في تربية النفس، مع تحليل نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، لكنها لم تتناول التنوع الدلالي بحسب السياق.

٤. السعدي، يوسف. (٢٠١٧). الصبر بين النظرية والتطبيق في القرآن والسنة. جدة: دار الهدى للنشر. دراسة مقارنة بين نصوص القرآن والسنة في تناول الصبر، تميزت بربط الصبر بالتطبيق العملي في حياة المسلم، مع توضيح مفصل للأبعاد الأخلاقية.

٥. الطائي، هدى. (٢٠٢١). دلالات الصبر ومشتقاته في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. رسالة ماجستير، جامعة بغداد. بحث موضوعي تناول الصبر من ناحية دلالية شاملة، مع الإشارة إلى بعض السياقات القرآنية، لكنه لم يستفد من المنهج السياقي التفصيلي بشكل منهجي.

هذا بالإضافة الى أبحاث كثيرة ومتنوعة لم يتسع المجال لذكرها، وبناءً على هذه الدراسات، يتضح وجود فراغ بحثي في تناول دلالات الصبر ومشتقاته من خلال منهج تحليلي سياقي شامل يغطي مختلف سياقات النص القرآني، وهو ما يسعى هذا البحث إلى سدّه. وبالتالي، يبرز هذا البحث كإضافة نوعية من خلال اعتماده منهجًا دلاليًا سياقيًا يركز على قراءة متأنية لمصطلح الصبر ومشتقاته في ضوء السياق القرآني، بهدف الكشف عن الأبعاد المتعددة التي لا تتضح في المعالجة العامة للمصطلح، مؤكدا بهذا الطرح أني لا أزعم أنني السباق لطرح مثل هذه الموضوع، ولم آتِ بشيء جديد على الدراسات القرآنية، وإنما إسهام من الباحث في مواصلة جهود العلماء الإجلاء في هذا المضمار، وخدمة لكتاب الله العزيز.

منهج الدراسة:

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الآتي:

١. المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع لفظ {الصبر}، ومشتقاته حسب وروده في القرآن الكريم".

٢. المنهج التاريخي: المشتمل على: تتبع مراحل تطور مصطلح "الصبر "عبر المعاجم اللغوية.

١. المنهج التحليلي والتعليلي: المتمثل: ببيان وتفسير وتحليل أسرار الآيات التي تعرضت إلى "الصبر"، ثم محاولة التعرف على أنواعه، وبيان القرآن الكريم له.

خطة البحث:

تشتمل الدراسة على ما يلي:

المقدمة: وهي تشمل على أهمية الموضوع، ومحدداته، والجديد المرجو منه، ومفهوم المصطلح في اللغة، والاصطلاح بشكل عام، والاصطلاح القرآني بشكل خاص، وموضوعه كعلم مستقل له أهميته في فهم النصوص والمصطلحات القرآنية.

المبحث الأول: مفهوم "الصبر" في اللغة، واستعمالاته في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: حد "الصبر" في اصطلاح القرآن الكريم.

التمهيد: مفهوم ومنهج دراسة المصطلح:

تقوم الدراسات المصطلحية على ضبط المفاهيم واستجلاء دلالاتها من خلال تتبّع استعمال اللفظ في سياقاته، وهو أمرٌ تزداد أهميته عند التعامل مع المفاهيم القرآنية التي تتحدد معانيها من خلال بنية النص ووظائفه الدلالية. ويُقصد بالمصطلح هنا: "اللفظ الذي انتقل من دلالته اللغوية الأولى إلى دلالة مخصوصة تستعمل في سياق علمي أو نصّي محدّد"[١].

ويعتمد هذا البحث في دراسة مصطلح "الصبر" على منهج تحليلي مصطلحي يتكوّن من الخطوات الآتية:

١. الدراسة الإحصائية: حصر مواضع مادة صبر في القرآن الكريم بأوزانها المختلفة.

٢. الدراسة المعجمية: تتبع أصل المادة الدلالي في مصادر اللغة، وبيان المعاني الأساسية التي تنبني عليها.

٣. الدراسة النصية: قراءة السياقات القرآنية التي ورد فيها المصطلح، وتحليل الصفات والعلاقات والضمائم التي تسهم في تشكيل مفهومه.

٤. الدراسة المفهومية: استخلاص الصورة المفهومية الجامعة من مجموع الدلالات الجزئية الواردة في النصوص.

٥. العرض المصطلحي: تحرير التعريف القرآني للصبر، وبيان خصائصه الوظيفية وصلته بالمفاهيم المجاورة والمشتقات المتصلة به.

هذه هي العناصر المفهومية التي يخضع لها عرض المصطلح. ويبقى لكل مصطلح خصوصيته النابعة من دلالة وحجم وروده في النصوص وقوته الاصطلاحية، وكل بحث في المصطلح له خصوصيته النابعة من طبيعة المتن المدروس فيه، فليست دراسة المصطلح الواحد في المتن الواحد كدراسة المصطلح المتعدد في المتن المتعدد أو المصطلح الواحد في المتون المتعددة، أو المصطلحات المتعددة. وليست المتون النظرية كالمتون التطبيقية ولا المتون البشرية ككلام الله تعالى ورسوله. وبذلك يشكّل هذا التمهيد مدخلًا منهجيًا يهيّئ للانتقال إلى دراسة مفهوم الصبر في القرآن الكريم دراسة دلالية دقيقة.

١– الشاهد بن محمد البوشيخي، ٢٠٠٠م، نحو تصور حضاري للمصطلح، ط :٢، فاس: مطبعة انفوا برانت، ص: ١٣. وانظر: فريد الأنصاري، ٢٠١٠م، المصطلح الأصولي عند الشاذلي، ط :١، القاهرة: دار السلام للطباعة، ص: ٩٦.

المبحث الأول مفهوم الصبر في اللغة، واستعمالاته في القرآن الكريم:

أولاً: مفهوم الصبر في اللغة: "الصاد والباء والراء أصول ثلاثة ، يعود إلى الفعل الثلاثي(صبر) بفتح الصاد، يعني: الْحَبْسُ. يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا"[١].

قال ابن منظور: "والصَّبْرُ: نقِيض الجَزَع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فَهُوَ صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، وأَصل الصَّبْرِ الحَبْس، وسُمِّي الصومُ صَبْراً لِمَا فِيهِ مِنْ حَبْس النَّفْسِ عَنِ الطَّعام والشَّرَاب والنِّكاح."[٢].

وقال الجوهري:"الصَبْرُ: حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته"[٣].

قال الراغب الأصفهاني: "الصَّبْرُ: الإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدّابّة: حبستها بلا علف، وصَبَرْتُ فلانا: خلفته خلفة لا خروج له منها" [٤].

من خلال ما تقدم، يتبين أن مادة الصبر في اللغة تدور: حول الحبس والمنع والتجلّد، أي: حبس النفس ومنعها عن الجزع أو الفعل الذي لا يليق، خصوصًا عند الشدائد. وهذا الأصل اللغوي يتجلّى في استعمالات الكلمة في القرآن الكريم، حيث يأتي الصبر مرتبطًا بالابتلاء، والجهاد، والتحمل، وكف النفس عن الفعل المنهي، والثبات على الحق.

أما الصبر اصطلاحاَ: قال الجرجاني:" هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله "[٥]. وأضاف شارحاً معنى ذلك بقوله: لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٦﴾﴾، مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٧]، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره، ولا يكون كالمقاومة مع الله تعالى، فإن الرضا بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى إلى الله ولا إلى غيره، وإنما يقدح بالرضا في المقضي، ونحن ما خوطبنا بالرضا بالمقضي، والضر هو المقضي به، وهو مقضي به على العبد، سواء رضي به أو لم يرض، كما قال: ((من وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه))، وإنما لزم الرضا بالقضاء، أن العبد لا بد أن يرضى بحكم سيده"[٨].

---

١ – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣: ٣٢٩.

٢ – ابن منظور، لسان العرب،٤: ٤٣٨.

٣ – الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢: ٧٠٦.

٤ – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٧٤.

٥ – الجرجاني، التعريفات، ١: ١٣١.

٦ – سورة ص، الاية: ٤٤.

٧ – سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

٨ – المصدر السابق، ١: ١٣١.

وقال الراغب الاصفهاني:" الصَّبْرُ: "حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبرا لا غير، ويُضَادُّهُ الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة، ويضادّه الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصّدر، ويضادّه الضّجر، وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتمانا، ويضادّه المذل، وقد سمّى الله تعالى كلّ ذلك صبرا، ونبّه عليه بقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة، ١٧٧] "[١].

ثانياً: استعمالات الصبر في القرآن الكريم:

ذكر أهل التفسير دلالات ومعاني مشتقات {الصبر} في القرآن الكريم، حيث جاءت معانيه فيه على خمسة اوجه [٢] وهي: الصيام، الجرأة، الإصرار، الرضاء، والصبر بعينه. بينما ذكرها واختصرها ابن الجوزي بثلاث، سنتناولها بالتفصيل في معرض حديثنا عن تحليل الدلالات والمعاني لاحقاً.

يُلحظ من خلال ذلك: أن تعريف لفظ {الصبر} متقارب المعنى عند العلماء، حيث تبين انه يفيد معنى عدم التضجر والشكوى على الابتلاء والرضا بما قدر الله تعالى وقضاء، فان الانسان في النهاية واقع تحت حكمه العادل سبحانه.

فمن خلال ما تقدم استعراضه يرى الباحث أن المعنى الاصطلاحي، لم يتعدَّ المعنى اللغوي. ولم يكن هناك بون واسع بين المعنيين، حيث يجتمع المعنى اللغوي للصبر، الذي يدور حول المنع والحبس والكفّ، مع المعنى الاصطلاحي الذي يتمثّل في حبس النفس على الطاعة، وكفّها عن المعصية، وثباتها على البلاء. إذ إن المعنى الاصطلاحي يندرج تحت الأصل اللغوي ويتفرع عنه في سياق التكليف الشرعي ويعتبر امتدادٌ مباشر له، يعمّقه السياق الشرعي دون أن يخرجه عن دلالته الأصلية. وفي كل الأحوال، فالصبر: خلق كريم يحمل في طياته كل معاني التحمل والثبات، ومع هذا كله يُحدد معنى الصبر حسب ما يرد في سياق الآيات.

المبحث الثاني: المنهج الدلالي في تحديد مفهوم الصبر في القرآن الكريم:

يعتمد تحديد مفهوم الصبر في القرآن الكريم على منهج دلالي يقوم على تتبّع موارد المصطلح وتحليلها للوصول إلى تعريف جامع. ويتكوّن هذا المنهج من ثلاث خطوات رئيسة:

١. الاستقراء التام للموارد: بحصر مواضع ورود مادة صبر في القرآن الكريم، ورصد صيغها الاشتقاقية المختلفة.
٢. تحليل المعطيات الصرفية والدلالية: من خلال دراسة الأبنية الصرفية، وأحجام ورودها، ووظيفتها داخل السياقات القرآنية.
٣. استخلاص الدلالات الجزئية: بقراءة كل مورد في سياقه؛ لاستنباط الإضافة الدلالية التي يسهم بها في بناء مفهوم الصبر.

وتُفضي هذه الخطوات إلى تكوين الصورة المفهومية التي يستند إليها تعريف الصبر في الاستعمال القرآني.

١. الاستقراء التام لمورد لفظ "الصبر" في القرآن الكريم.

---

١ – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٧٤.

٢ – الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ١١: ٣٠٣. وانظر ابن الجوزي، نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر، ١: ٣٨٧.

يقصد بالاستقراء التام: إحصاء مواطن وروده في آيات القرآن الكريم ، ومن ثم وصف أشكال الصيغ الاشتقاقية التي وردت به.

١,١: إحصاء مواطن ورود لفظ " الصبر" في آيات القرآن الكريم:

وردت صيغ لفظ {الصبر} في القرآن الكريم من خلال خمسةٍ وعشرين (٢٥) اشتقاقاً، تُكَوّن في مجموعها مائة وثلاث (١٠٣) موضعاً[١]. نبينها في الجدول الإحصائي الآتي:

الاشتقاق	حجم الورود	الاشتقاق	حجم الورود	الاشتقاق	حجم الورود
صبر	٢	يصبر	١	صبرك	١
صبرتم	٢	يصبروا	١	صابراً	٢
صبرنا	٢	اصبر	١٩	الصابرون	٣
صبروا	١٥	اصبروا	٦	الصابرين	١٥
تصبر	١	صابروا	١	صابرة	١
تصبروا	٥	اصبرهم	١	الصابرات	١
أتصبرون	١	اصطبر	٣	صبار	٤
نصبر	١	الصبر	٦		
ولنصبرن	١	صبراً	٨		
المجموع	**٣٠**		**٤٦**		**٢٧**

(الجدول: ١)

أهم ما يلاحظ من هذا التقسيم :

أولا: يحتل مشتق "اصبر" من بين تلك الموارد: {١٩} تسعة عشر مواضعاً، موزعةٌ على سبعة عشر{١٧} سوره، {١٦} ستة عشر منها مكية[٢]،

١ – عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي– بيروت، د.ط، د.ت.(باب الصاد) ص: ٣٩٩.

٢ – يونس، هود، النحل، الكهف، طه ، الروم، لقمان، ص، غافر، الاحقاف، ق، الطور، القلم، المعارج، المزمل، المدثر.

وسورة واحدة(١) مدنية[١]. فجاء حضوره في الآيات المكية أكثر بكثير من السور المدنية، ليُعبّر عن تحوّل بنيوي في الخطاب القرآني تبعًا لاختلاف طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة، ما يعكس تفاعل الوحي مع الواقع المتغير وتوجيهه المستمر. ففي طور التأسيس: برز فعل الامر " اصبر" كأداة لتشكيل الوعي الرسالي في السور المكية، حيث تُبنى الهوية الإيمانية والرسالية من خلال مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بمفردات الثبات والتحمل، ومن أبرزها "أصبر". وهذا الفعل لا يُراد به مجرد التحمل السلبي، بل يُستثمر في توجيه الطاقات النفسية والروحية نحو الصمود الهادف في وجه الاستكبار، والتمسك بالحق رغم قسوة السياق. فقوله تعالى:﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٢]، هنا الصبر مرتبط بإدراك الرعاية الإلهية، مما يعمق البعد الوجودي للصبر. علاوة على الوظيفة النفسية والاجتماعية لصيغة "اصبر الأمرية "بخلاف الاسم "الصبر" تحمل طابعًا تحريضيًا مباشرًا، يواكب مشاعر الانكسار ويستنهض الإرادة. فكل موضع يأتي فيه "اصبر" في السياق المكي، لا يُكتفى فيه بتقرير قيمة الصبر، بل يُوجَّه بها المخاطَب نحو ممارسة واعية للصبر، بوصفه موقفًا اختياريًا يُبنى عليه مستقبل الدعوة. وبالتالي يشير إلى أن الصبر كان قيمة بنيوية مركزية في تكوين الذات النبوية والكيان الإيماني الأول، وكان توظيفه يتم ضمن سياق تثبيت وتزكية وتمكين روحي ونفسي، في حين أن تغيّر السياق في المدينة فرض تحولات في طبيعة التوجيه، فغاب "اصبر" تقريبًا، ليحل محله خطاب يناسب واقع الدولة لا واقع الاضطهاد.

ثانيا: ثم تلاه مشتق صبروا، حيث ورد{١٥} في خمسة عشر موضعاً، موزعة على ثلاثة عشر{١٣} سوره، عشرة{١٠} منها مكية[٣]، وثلاثة(٣) مدنية[٤]، وجاء بصيغة الماضي ليفيد التحقق والثبات، ويعكس صورة الإنجاز الصبور الذي اكتمل وتحقق في شخصيات رسالية أو جماعات مؤمنة، مما يجعله نموذجًا يُحتذى. فـ"صبروا" توثيقٌ لتجربة حيّة، لا وصفٌ لمبدأ نظري؛ إذ يُقرَن هذا الفعل غالبًا بالجزاء الإلهي والثناء الرباني، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥]، وكأن الصبر هنا هو الشرط المركزي للفوز والفلاح. كما تتكرر هذه الصيغة في السياق القصصي والوعظي، حيث تُعرض مواقف السابقين من الأنبياء أو المؤمنين الذين ثبتوا على الحق، لتكون حافزًا للأمة في لحظات المحنة والابتلاء، مقابل صيغة الأمر "أصبر" التي تمثّل خطابًا مباشرًا يُوجّه إلى الفرد ليأخذ موقع الفعل في الزمن الحاضر. وهكذا تتكامل الصيغتان: فـ" أصبر" تبني الإرادة، و"صبروا" تكرّم من بناها وفعّلها، مما يرسّخ في البنية القرآنية وحدة بين التكليف الرسالي والتكريم الرباني.

---

١ – سورة الإنسان فقط.

٢ – سورة الطور، الاية: ٤٨.

٣ – الانعام، الاعراف، هود، النحل، المؤمنون ، الفرقان، القصص، العنكبوت، السجدة، فصلت.

٤ – الرعد، الحجرات، الانسان.

٥ – سورة المؤمنون، الآية: ١١١.

ثالثا: ثم تلاهما مشتق الصابرين، حيث ورد كذلك في تسعة{٩} مواضع، موزعة على تسعة {٩} سور، ثلاثة{٣} منها مكية[١]، وستة(٦) مدنية[٢] وهذا مؤشرًا دلاليًا بالغ العمق، يُضيء تطوّر الخطاب القرآني من مرحلة التأسيس الإيماني إلى مرحلة البناء المجتمعي والتنظيمي. ففي المرحلة المكية، حيث كان التركيز على ترسيخ العقيدة في بيئة الاستضعاف، يظهر وصف "الصابرين" بوصفه نموذجًا فرديًا فذًا، يُراد له أن يكون قدوة في الثبات تحت وقع الاضطهاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٣] ، إذ تنبع البشارة من رحم المعاناة، وتوجّه الخطاب إلى الأفراد في لحظة الحاجة إلى التثبيت.

أما في المرحلة المدنية، فإن اتساع الحضور الكمي والموضوعي لمصطلح "الصابرين" يعكس تحوّلًا وظيفيًا للمفهوم، من صفة فردية إلى صفة جماعية مؤسسة، ترتبط بها مفاهيم النصر، والرباط، والثبات على المنهج وسط تحديات التنظيم المجتمعي والتكليف الشرعي، كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤]، حيث تُربط المعية الإلهية بالموقف الجماعي في مقام الطاعة والانضباط العسكري. فالصبر لم يعد خُلقًا منعزلاً، بل غدا مقومًا بنيويًا في الجماعة المؤمنة، وشرطًا لمرافقة الوعد الإلهي بالنصر والتمكين.

وهكذا فإن ازدياد ورود "الصابرين" في السور المدنية لا يعكس فقط تغير الظرف الزمني، بل يدل على ارتقاء قيمة الصبر من مستوى التحمل السلبي إلى مستوى الفاعلية الحضارية، بوصفه فضيلة تُبنى عليها هويّة الجماعة الرسالية.

رابعاً: ومن اللافت في بنيات المشتقات القرآنية لمادة (صبر) مجيء صيغة "صَبَّار" بصيغة المبالغة؛ وهي صيغة تدل على التكثيف والدوام والتجدد، لا على مجرد تحقق الفعل مرة واحدة. وقد وردت هذه الصيغة في سياق مدحٍ لنموذج بشري رفيع، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٥]، حيث جُمعت صفتا الصبر والشكر بصيغتي المبالغة، مما يدل على تكامل خُلُقيّ فذّ، يجمع بين القدرة على التحمل في مواقع البلاء، والشكر في مواطن العطاء. واختيار "صَبَّار" دون غيرها يشير إلى أن الصبر في هذا المقام صفة راسخة في الذات، تتكرر وتُجدد في مختلف الظروف، لا مجرد فعل طارئ.

كما أن اقتران "صَبَّار" بـ "شَكُور" يُعد من ضمائم لفظ الصبر الكبرى، حيث يُحدث توازنًا تعبيريًا وموضوعيًا، ليؤكد أن الشخصية القرآنية النموذجية لا تُعرف فقط بالصبر السلبي، بل تتسم بنَفَس إيجابي بنّاء، يجعلها أهلاً للخلافة في الأرض، ومهيّأة للثبات في مواقع التكليف الرسالي. فهي تؤدي وظيفة دلالية دقيقة في هندسة القيم القرآنية، حيث الترقي الإنساني مشروط بالرسوخ في منظومتين الصبر والشكر، ويشكلان ثنائية روحية متكاملة الصبر على الابتلاء، والشكر في حال النعمة أو البلاء. فالتركيز على المبالغة الصرفية

---

١ – النحل، الانبياء، الصافات.

٢ – البقرة ، ال عمران، الانفال، الحج. الأحزاب، محمد.

٣ – سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

٤ – سورة الانفال، الآية: ٤٦.

٥ – سورة لقمان، الآية: ٣١.

يدل على أن المقصود ليس مجرد الصبر والشكر، بل بلوغ درجة كمالية فيهما. فمثل هذه الضمائم تعمّق دلالة "الصبر" من مجرد فعل سلوكي إلى نظام نفسي وروحي وسلوكي متكامل.

كل هذه الملاحظات لها معانيها، سنبينها لاحقاً عند معرض حديثنا عن معاني موارد المصطلح. وحاصل هذه الموارد من حيث الكم والصيغة والمجال الذي تنتمي إليه، يُجمل في الجدول الآتي:

موضع الورود		حجم الورود	شكل الورود
المجال	السورة, ورقم الآية		
المكي	الأنعام:٣٤،	١	{صبروا}
	الاعراف:، ٨٧،١٣٧، ١٢٨، ١٢٦.	٤	{صبروا، اصبروا، صبراً}
	يونس: ١٠٩	١١	{اصبر.}
	هود: ١١، ٤٩، ١١٥.	١	{صبروا، اصبر}
	يوسف: ٩٠، ١٨، ٨٣.	٣	{يصبر، الصبر}
	إبراهيم: ٥،١٢،٢١.	٣	{ صبرنا، ولنصبرن، صبار}
	النحل: ١٢٦\٢، ٤٢، ٩٦، ١١٠، ١٢٧\٢.	٧	{ صبروا، اصبر، صبرك، الصابرين}
	الكهف:٦٨، ٢٨، ٦٧، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٦٩.	٨	{تصبر، اصبر، صبراً، صابراً}
	مريم: ٦٥.	١	{ اصطبر}
	طه: ١٣٠، ١٣٢.	٢	{اصبر، اصطبر}
	الأنبياء: ٨٥.	١	{ الصابرين}
	المؤمنون: ١١١.	١	{ صبروا}
	الفرقان: ٤٢، ٧٥، ٢٠.	٣	{ صبرنا، صبروا، اتصبرون}
	القصص: ٥٤، ٨٠.	٢	{ صبروا ، الصابرون}
	العنكبوت:٥٩	١	{ صبروا}
	الروم: ٦٠	١	{اصبر}
	لقمان: ١٧،٣١.	٢	{ اصبر، صبار}
	السجدة: ٢٤.	١	{ صبروا}
	سبا:١٩.	١	{ صبار}

	الصافات:١٠٢.	١	{الصابرين}
	ص: ١٧، ٦، ٤٤.	٣	{ اصبر، اصبروا، صابرة}
	الزمر:١٠.	١	{ الصابرون }
	غافر: ٥٥، ٧٧.	٢	{ اصبر }
	فصلت: ٢٤،٣٥.	٢	{ صبروا يصبروا}
	الشورى: ٤٣، ٣٣.	٢	{ صبر، صبار}
	الاحقاف:٣٥\٢	٢	{ صبر، اصبر}
	ق: ٣٩.	١	{ اصبر}
	الطور: ١٦\٢، ٤٨.	٣	{ تصبروا، اصبر، اصبروا}
	القمر:٢٧.	١	{ اصطبر}
	القلم: ٢٩	١	{ اصبر}
	المعارج: ٥\٢.	٢	{اصبر، صبراً}
	المزمل: ١٠.	١	{اصبر}
	المدثر: ٧.	١	{ اصبر}
	البلد:١٧.	١	{ الصبر}
المدني	البقرة:٦١، ١٧٥، ٢٥٠، ٤٥، ١٥٣\٢، ١٥٥، ١٧٧، ٢٤٩.	٩	{ نصبر، اصبرهم، الصبر، صبرا، الصابرين }
	آل عمران: ١٢٠، ١٢٥، ١٨٦، ٢٠٠\٢، ١٧، ١٤٢، ١٤٦.	٨	{ تصبروا، اصبروا، صابروا، الصابرين}
	النساء: ٢٥.	١	{ تصبروا}
	الأنفال:٤٦، ٦٥، ٤٦، ٦٦\٢.	٥	{ اصبروا ، الصابرون، الصابرين، صابرة}
	الرعد: ٢٤، ٢٢.	٢	{ صلرتم، صبروا }
	الحج:٣٥.	١	{الصابرين}
	الأحزاب: ٣٥\٢.	٢	{الصابرين، الصابرات}
	محمد: ٣١.	١	{ الصابرين}

الحجرات: ٥.	١	{صبروا}
الانسان: ١٢، ٢٤.	٢	{ صبرا، اصبر}
النصر: ٣.	٢	{الصبر}

(الجدول:٢)

وبالنظر إلى توزيع هذه النسب[١] حسب السور المكية والمدنية، ثم بحسب السور مجتمعة ثم بحسب سور القرآن كله، نحصل على النتائج الآتية:

نسبة الورود في السور المكية	%٣٩,٥٠
نسبة الورود في السور المدنية	%٣٩
نسبة الورود في مجموع سور القرآن الكريم	%٣٩,٥٠

٢,١: تحليل المعطيات الصرفية والدلالية :

معرفة الدلالات والمعاني التي تحملها مشتقات لفظ "الصبر" في القرآن الكريم، يقتضي معرفة الآتي:

١. تحليل المعطيات المستفادة من إحصاء الموارد ووصفها، وبمعنى أوضح تحليل معطى الإحصاء أو حجم ورود المصطلح – كون الدراسة مصطلحية– داخل النصوص.
٢. تحليل الصيغ التي وردت فيها تلك النصوص، أي شكل الورود.
٣. ومن ثَّم تحليل هذه الدلالات والمعاني.

١,٢,١: تحليل معطى الإحصاء:

يقصد بتحليل معطى الإحصاء: تحليل حجم ورود المصطلح داخل النصوص القرآنية، وإن أهم ما يلاحظ من خلال معطى الإحصاء ما يأتي:

١. حضور مشتقات مصطلح "الصبر" في القرآن الكريم كثيرٌ على مستوى القرآن الكريم كله عامة، وعلى مستوى السور التي ورد بها خاصة، يكاد يلامس المصطلحات القرآنية كثيرة الورود في القران الكريم، كمصطلح الأمن، الصالحات السيئات...الخ[٢]؛ مما أثر بالفعل على البنية المفهومية للمصطلح، كما يتجلى في كثرة صفاته واتساع علاقاته وزخم ضمائمه، وانطلاق قضاياه داخل النص القرآني.

١ – أخذت النسب حسابيا إلى أقرب رقم صحيح.

٢ – ورد مصطلح الأمن في القرآن الكريم أكثر من {٥٠٠} مرة بالإضافة إلى مشتقاته، الصالحات{١٨٠} مرة، السيئات{١٨٠} مرة. انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، امن، صلح، وأساء.

٢. ورود مشتقات المصطلح داخل السور كثيرٌ ومتفاوت الحجم[١]، حيث ورد في خمسةٍ واربعين{٤٥} سورة، منها أربعة وثلاثين {٣٤} مكية، وإحدى عشرة {١١} مدنية، متكررا أحيانا مرة واحدة أو مرتين في كل سورة، ويُفهم من هذا مدى انسجام الخطاب القرآني مع طبيعة المرحلة وظروفها. فالمرحلة المكية تمثل الزمن التأسيسي للدعوة، حيث لم يكن للمؤمنين سلطان ولا شوكة، بل كانوا أقلية مضطهدة تواجه سياجًا من الكفر والتكذيب والمقاطعة والابتلاء، فكان لا بدّ أن يُصاغ الخطاب الإلهي ليكون ملاذًا للنفس، ومصدرًا للعزاء، ومقومًا للتحمل والثبات. ومن هنا برز "الصبر" لا كمجرد خلق، بل كقيمة جوهرية تُبنى بها شخصية المؤمن، وتُصقل بها إرادته، ويُشد بها عضده. وقد تكرر الخطاب بالصبر في صيغ متعددة، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٣]، مشددًا على ضرورة الارتباط بالله في معاناة الصبر، ومقدّما وعد النصر منوطًا بالثبات، لا بالعجلة. أما في المرحلة المدنية، فقد انتقل الخطاب إلى معطًى آخر، حيث بات للمؤمنين كيان ومكان، فتراجع التركيز الكمي على مصطلح "الصبر"، وإن استمر حضوره، لكن بوظيفة مختلفة، حيث ارتبط بالجهاد والتنظيم والمصابرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا...[٤] ﴾.

وهكذا يظهر أن "الصبر" في السور المكية يؤدي وظيفة التمكين النفسي الداخلي، بينما في المدنية يؤدي وظيفة الصمود والرباط الخارجي، مما يكشف عن عمق التناسب بين دلالة المصطلح وسياق التنزيل، ويؤكد أن بناء الأمة يبدأ من بناء النفس.

٢,٢,١: تحليل معطى شكل الورود:

في تحليلنا للصيغ والأشكال الصرفية والاشتقاقية التي ورد بها المصطلح في القرآن الكريم، تلوح الملاحظ الآتية:

١. إنّ ورود مشتق "صبرًا" بصيغة المصدر في الخطاب القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٥]، يحمل دلالة تتجاوز مجرد الأمر بالفعل، إلى استدعاء جوهر الصبر في ذاته بوصفه حالة روحية ومقامًا أخلاقيًا. فالمصدر، بخلاف الفعل، يُجرد المعنى من الزمان والفاعل، ليجعل الصبر قيمة مطلقة يُطلب من المؤمن أن يتلبّس بها تلبّسًا تامًا. والوصف بـ "جميلًا" لا يتعلق بالشكل أو الأداء، بل يصف النوعية الداخلية للصبر: صبرٌ لا يشوبه جزع، ولا تذمر، ولا ضيق نفس، بل هو هدوء القلوب الواثقة بربها. ومن هنا، يتبيّن أن استخدام "صبرًا" بصيغة المصدر لا يطلب من المؤمن مجرد التحمل، بل يوجهه إلى مقام الرضا المتماسك المنبعث من عمق التوحيد واليقين.

---

١ – انظر: الجدول: ٢.

٢ – سورة الروم، الاية:٦٠.

٣ – سورة النحل، الآية: ١٢٧.

٤ – سورة ال عمران، الآية: ٢٠٠.

٥ – سورة المعارج، الآية: ٥.

٢. في قوله تعالى: "ما أصبرهم "، تأتي كلمة "ما" على صيغة التعجب، و"أصبرهم" على صيغة الفعل التعجبي، ليشكلا تعبيرًا قرآنيًا يحمل معنىً مركبًا عميقًا يتجاوز مجرد الصبر المحمود. فالصبر هنا ليس فضيلة تُحتفى بها، بل هو صبر سلبي، يعبّر عن ثبات العناد والتمسك بالباطل حتى في مواجهة عذاب النار. هذا الصبر هو صبر على الهلاك، وصبر على نتائج الاستمرار في الضلال، وليس صبرًا على الحق أو الصبر الجميل الذي يدعو إليه القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق، يتجلّى في التعبير تهكم بلاغي وإدانة روحية، إذ يُعجب الله ويتعجب القارئ من ثباتهم على طريق الهلاك رغم ما يترتب عليه من عذاب أليم، كأنهم يُصبرون على النار نفسها، مما يدل على غفلتهم المريبة وإصرارهم المذهل على استمرارهم في غيهم. بهذا الشكل، يستخدم القرآن صيغة التعجب للفعل "أصبر" ليس ليُشيد بالصبر، بل ليُبرز ثباتهم السلبي كأشد أنواع العناد وأخطرها، في مقابل الصبر الإيجابي الذي يُؤمر به المؤمنون في طريق الحق.

٣,٢,١ : استخلاص الدلالات الجزئية:

يقود التدبر العميق لكل موارد مشتقات مصطلح "الصبر" في القرآن الكريم إلى مجموعة من الدلالات والمعاني، يمكن رصّها وبيانها في الوحدات الدلالية الآتية:

الوحدة الاولى: الصبر بمعنى الصوم:

ويظهر هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]. بالرجوع إلى أقوال المفسرين يقول العلماء، أن المراد بالصبر في هذه الآيات هو: الصوم، كونه يعد اعلى درجته.

ففي الآية الأولى:

جاء مجمل اقوال المفسرين معنى الصبر في سياق الآية بمعنى الصوم:

قال السمرقندي نقلاً عن مجاهد:" استعينوا بالصبر والصلاة يعني: بالصوم والصلاة، وإنما سمي الصوم صبراً لأن في الصوم حبس النفس عن الطعام والشراب والرفث"[(٣)]. وقال ابن الجوزي: "الصبر هاهنا: الصوم"[(٤)]. وقال الرازي: "المراد من الصبر هاهنا هُوَ: الصَّوْمُ لِأَنَّ الصَّائِمَ صَابِرٌ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَمَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَنْ قَضَاءِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ زَالَتْ عَنْهُ كُدُورَاتُ حُبِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ الصَّلَاةُ اسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِأَنْوَارِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى"[(٥)].

---

١ – سورة البقرة، الآية: ٤٥.

٢ – سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

٣ – السمرقندي، بحر العلوم، ١: ٤٩.

٤ – ابن الجوزي، زاد المسير، ١: ٦١.

٥ – الرازي، مفاتيح الغيب، ٣: ٤٩٠.

المعنى الإجمالي للايتين:

تأتي الآية الاولى في سياق دعوة بني إسرائيل إلى التخلّي عن الانحرافات والعودة إلى المنهج الإلهي القويم، عبر وسيلتين أساسيتين: الصوم والصلاة، كطريق لإصلاح النفس وضبط السلوك. والسياق يعزز المعنى التربوي، حيث إن الاستعانة بهما تهيئ القلب لاستقبال التوجيه الرباني الذي تفصّله السورة لاحقًا، وتوجه الخطاب لهم، داعيةً إياهم إلى الاستعانة بالصوم والصلاة في مواجهة التكاليف وتجاوز الانحراف، وجاء اقترانه بالصلاة لما يشكّله من مسارٍ تربويٍ إيمانيٍ يعين على مجاهدة النفس، لكنّ فائدته لا تتحقق إلا لمن خشع قلبه وتذلل لله تعالى. فاذا كانت هذه الآية قد وجهت لبني إسرائيل فان هناك توجيه اخر في نفس السورة اتبعه الله تعالى للمؤمنين في الآية الثانية بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، تأمرهم بالاستعانة بالصوم والصلاة في مواجهة الشدائد والتكاليف، مع وعد إلهي مباشر بأن الله مع الصابرين. ويأتي هذا التوجيه بعد سلسلة من الأوامر والابتلاءات الواردة في الآيات السابقة، مما يجعل الصوم والصلاة سبيلًا للثبات.

فالخلاصة الموحدة للآيتين تشير إلى توجيه رباني عميق يرسم ملامح الطريق الروحي الذي ينبغي للمؤمن أن يسلكه في مواجهة تحديات الحياة وآلامها. فالدعوة إلى الاستعانة بالصوم والصلاة ليست مجرد أمر تعبدي، بل هي منهج إصلاحي شامل يربط الإنسان بخالقه ويثبّته أمام تقلّبات الدنيا. فالصبر هنا ليس تحمّلًا سلبيًا، بل هو قوّة داخلية واعية، تَنبُت من الإيمان وتُثمر الثبات والمقاومة والتسليم لما أراد الله. أما الصلاة، فهي ليست طقوسًا حركية فقط، بل مقامٌ من مقامات الحضور مع الله، يجد فيها المؤمن ملاذًا وطمأنينة واستمدادًا للعزم على مواصلة الطريق. وقد كشفت الآيتان أن هذه المعاني لا تدركها إلا القلوب الخاشعة؛ القلوب التي تذوقت حلاوة القرب، فعرفت كيف تُعينها الصلاة على الصبر، وكيف يُثبّتها الصبر على مواصلة الصلاة. ومن أرقى ما في هذه التوجيهات أن الله تعالى ختم الآية الثانية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وهي معيةٌ خاصّة تدلّ على عناية إلهية مباشرة، لا تترك الصابر وحده في ميدان الابتلاء، بل ترافقه وتؤيده وتفتح له أبواب الفرج والنور.

الوحدة الثانية: الصبر بمعنى الجرأة:

ويظهر هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [١].

ففي هذه الآية الوحيدة:

جاء لفظ الصبر في سياق الآية واضحاً صريحاً بمعنى الجرأة

قال الطبري : عن قتادة والحسن وسعيد ابن جبير" فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار"[٢].

١ – سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

٢ – الطبري، جامع البيان، ٣: ٣٣١.

وقال ابن عاشور:" فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ تَعْجِيبٌ مِنْ شِدَّةِ صَبْرِهِمْ عَلَى عَذَابِ النَّارِ"[١]. واضاف قائلاً: "وَلَمَّا كَانَ شَأْنُ التَّعْجِيبِ أَنْ يَكُونَ نَاشِئًا عَنْ مُشَاهَدَةِ صَبْرِهِمْ عَلَى الْعَذَابِ وَهَذَا الصَّبْرُ غَيْرُ حَاصِلٍ فِي وَقْتِ نُزُولِ هَاتِهِ الْآيَةِ بَنَى التَّعْجِيبَ عَلَى تَنْزِيلِ غَيْرِ الْوَاقِعِ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ لِشِدَّةِ اسْتِحْضَارِ السَّامِعِ إِيَّاهُ بِمَا وُصِفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَهَذَا مِنْ طُرُقِ جَعْلِ الْمُحَقَّقِ الْحُصُولِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَنْزِلَةِ الْحَاصِلِ، وَمِنْهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَتَنْزِيلُ المتخيل منزلَة الْمشَاهد"[٢].

فالمعنى الإجمالي يجلي المعنى المقصود: حيث تصوّر هذه الآية وضعًا مأساويًا لعلماء واحبار اليهود الذين عرفوا الهدى والمغفرة، لكنهم اختاروا الضلالة والعذاب عن علم، فاستبدلوا الحق بالباطل، واختاروا طريق النار بأيديهم. وجاء التعبير القرآني العجيب: "فما أصبرهم على النار"، وهو على لسان الاستنكار والتعجّب: أي ما أجرأهم على عذاب لا يُحتمل، وكأنهم يطيقونه! إنها صورة تهويليه بليغة، تقرّع النفس وتستنكر هذا الاختيار المنكوس. قال الرازي: "فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِفْهَامُ التَّوْبِيخِ مَعْنَاهُ: مَا الَّذِي أَصْبَرَهُمْ وَأَيُّ شَيْءٍ صَبَّرَهُمْ عَلَى النَّارِ حَتَّى تَرَكُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ"[٣].

كما تشير الآية إلى أن المصير المحتوم للغافلين منهم هو نتيجة حتمية لخيارهم الواعي. والآية تبرز خطورة التبديل المقصود للحق، لا من باب الجهل، بل من باب الاستكبار أو الجحود، كما أنها تحفّز النفس المؤمنة على التثبّت، حتى لا تكون ممن "اشترى العذاب بالمغفرة"، في لحظة ضعف أو إغراء.

فالخلاصة: تُجسّد الآية الكريمة مشهدًا قويًا من الانحراف المقصود عن الحق، حيث باع أولئك الناس من اليهود الهدى الذي أُوتوه، واستبدلوه بالضلالة، كما اختاروا العذاب على المغفرة. والعبارة "اشتروا" تحمل دلالة اقتصادية عميقة تُوحِي بأنهم قاموا بصفقة خاسرة عن سابق علم. ويأتي التعبير الختامي: "فما أصبرهم على النار"، ليكشف عن استنكار شديد وتعجّب من موقفهم، ويطرح سؤالًا ضمنيًا عن الدافع الذي جعلهم يتحمّلون العذاب، كأنهم يصبرون عليه وهم لا يقدرون.

واود هنا ان اشير الى لفتة عظيمة اذكر فيها القارئ الكريم الى ان قوله تعالى في الآية ﴿فما أصبرهم على النار﴾ لا مثيل لها من حيث التركيب البلاغي والتعبير بالتعجب في القرآن الكريم، لكنها تشترك مع آيات أخرى في المعنى العام المتعلق بمن باع الهدى بالعذاب، واختار النار على المغفرة. كقوله تعالى:﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٤]، فهنا أيضًا تصوير لصفقة خاسرة مشابهة شراء الدنيا بالآخرة، مع النتيجة الحتمية، العذاب دون رحمة، وقد تضارعها في المعنى وتشترك معها في الدلالة.

---

١ – ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢: ٢٥ .

٢ – المصدر السابق، ٢: ٢٥.

٣ – الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠٦:٥.

٤ – سورة البقرة، الآية: ٨٦.

الوحدة الثالثة: الصبر بمعنى الثبات والإصرار على الشر:

ويظهر هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[٢] .

ففي الآية الأولى: جاء ورود مشتق الصبر في سياق الآية بمعنى الثبات والإصرار على الشرك وعدم الايمان بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال الطبري:" وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بأن امضُوا واثبتوا على دينكم وعبادة آلهتكم." [٣].

قال السمرقندي:" يعني: الأشراف من قريش أَنِ امْشُوا يعني: امكثوا وَاصْبِرُوا يعني: اثبتوا عَلى آلِهَتِكُمْ يعني: على عبادة آلهتكم."[٤].

يلحظ من خلال أقوال أهل التفسير أنهم متفقون على أن الصبر في سياق الآية، جاء بمعنى الثبات والإصرار على الشرك والكفر، ولعل المعنى يتجلى اكثر وضوحاً عند وقوف المفسرين على مناسبة نزول الآية حيث أورد الطبري:" عن ابن عباس رضى الله عنه، قوله ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، قال: نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب فكلموه في صلى الله عليه وسلم [٥]. وساق الواقعة المعروفة في تفسيره يمكن للقارئ الكريم الرجوع اليها، ولم نسوقها خشية الاطالة.

اما المعنى الإجمالي للآية: تصوّر الآية مشهدًا دراميًّا عميقًا من مواقف المواجهة بين دعوة التوحيد وسلطة الجاهلية، حيث ينطلق "الملأ" من قوم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم وجهاء القوم وأصحاب النفوذ، في حركة جماعية مقصودة، توحي بالتحريض والتعبئة ضد الرسالة الجديدة. فـ"الانطلاق" يدل على حركة منظمة ومندفعة، لا مجرد خروج عابر، بينما توحي العبارة "أن امشوا" بما هو أكثر من المشي الحسي؛ إذ هي دعوة إلى الإعراض والمضيّ قُدُمًا في الحفاظ على الموروث العقدي، كنوع من الإصرار والثبات بشدة على الباطل.

كما ويأتي الأمر ﴿واصبروا على آلهتك﴾" ليكشف بوضوح مدى تأثير الدعوة المحمدية، فقد شعر القوم بخطرها الحقيقي، حتى غدت عبادة آلهتهم التي يُفترض أن تكون منبع طمأنينة تحتاج إلى "صبر"، وكأنهم يعانون من ضغط داخلي أو اهتزاز في القناعة. أما قولهم "إن هذا لشيء يُراد" فهو تهمة مبطنة تكشف عقلية المؤامرة، إذ يُصوَّر الحق على أنه مشروع خفي ذو أهداف غير معلنة، في مسعى لصرف الناس عن جوهر الدعوة بإثارة الشبهات حول نواياها. وهكذا تكشف الآية بنية الرفض الجاهلي: نخبة مهيمنة تخشى زوال سلطانها، فتحرك الجماهير بالعصبية والشك، لا بالحجة والبيان.

---

١ – سورة ص، الآية: ٦.

٢ – سورة الفرقان، الآية: ٤٢.

٣ – انظر الطبري، جامع البيان، ٢١: ١٥١ بتصرف.

٤ – السمرقندي، بحر العلوم،٣: ١٥٩.

٥ – انظر الطبري، جامع البيان، ٢١: ١٥٤.

أما الآية الثانية:

يكاد المفسرون ان يجمعوا بانها تحمل نفس المعنى والدلالة في الثبات والإصرار على عبادة الاوثان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤون برسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها، فيصدّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبوتنا على عبادتها"(١).

قال المراغي: قوله" ﴿إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾ أي: ويقولون إنه قد كاد يصدّنا عن عبادة آلهتنا لولا صبرنا على عبادتها وثباتنا على ديننا" (٢).

في هذه الآية الكريمة يكاد يتكرر المشهد ذاته كما حصل في الآية الأولى من قبل المشركين من مقاومة دعوة التوحيد، لكن من زاوية شعورية تفضح عمق التأثر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن غلّفوه بإنكار وعداء. فقولهم ﴿إن كاد ليُضلّن﴾" لا يخلو من اعتراف مبطن بقوة الحجة التي كادت أن تزعزع عقائدهم. واستخدام حرف "كاد" يدل على اقتراب التغيير ووشكه، مما يشير إلى أن تأثير دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بلغ مستوى خطيرًا في زعزعة بنيان الشرك.

أما عبارة ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ فهي تكرار لنغمة التصلّب المفتعل في الآية السابقة من سورة ص، إذ يصوّرون عبادة الآلهة وكأنها معاناة تحتاج إلى صبر وثبات، مما يكشف عن اضطراب داخلي وتناقض بين التمسك الظاهري والشك الباطني. فهم لا يدافعون عن عقيدة نابعة من اليقين، بل يتمسكون بها مقاومةً للحق، ولهذا وصف صبرهم هنا وكأنه كان حاجزًا حال دون اهتزاز عقيدتهم. فالآية هنا تُظهر ملامح نمط التفكير الجاهلي في صورته القصوى المتمثل بالتمسك بالموروث لا عن قناعة راسخة، بل خوفًا من التغيير، وادعاءٌ بأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم تضليل، في حين أن ما فعله هو زلزلة الباطل بالحجة. وهكذا يتجلى منطق العصيان حين يُلبس لباس "الثبات"، ويُصور الحق تهديدًا يجب الصبر عليه، لا نداءً يُستجاب له.

فالخلاصة: في ضوء الآيتين، يتضح أن خطاب الملأ في مواجهة دعوة التوحيد كان يتسم بالتحريض الجماعي على الثبات على الباطل، مع تصوير دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على أنها خطر مقصود يهدد بنيانهم العقدي. فدعوتهم إلى "الصبر على الآلهة" تعكس اضطرابًا داخليًا، وعباراتهم من قبيل "إن كاد ليضلّنا" تكشف عن اعتراف ضمني بقوة الحجة النبوية، وإن غُلّفت بالإنكار والتشكيك، مما يعكس أسلوب الجاهلية في مقاومة الحق بالتثبيت على الباطل وتشويه النوايا، ويوظف لغة الاستعلاء والمؤامرة لإخفاء حالة التزلزل والانكشاف أمام نور التوحيد.

---

١ – الطبري، جامع البيان، ١٨: ١٩.

٢ – الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١: ٤٦٣.

الوحدة الرابعة: الصبر بمعنى الرضا بقضاء الله وقدرة، وعدم الْغَضَبِ وَالضَّجَرِ وَالْعَجَلَةِ:

ويظهر هذا المعنى جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[٢].

ففي الآية الأولى:

جاء ورود مشتق الصبر في سياق الآية ، بمعنى الرضا بقضاء الله وقدرة. قال القرطبي:" قوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لِقَضَاءِ رَبِّكَ فِيمَا حَمَّلَكَ مِنْ رِسَالَتِهِ"[٣]. وقال السمرقندي:"قوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعني: لما أمرك ربك، ونهاك عنه، واصبر على تكذيبهم، وأذاهم. فَإِنَّكَ بمنظر منا، بحيث نراك، ونحفظك، ولا يصلون إلى مكرك، والله تعالى يرى أحوالك، ولا يخفى عليه شيء"[٤].

فالآية الكريمة: تتضمّن توجيهًا رفيعًا للنبي صلى الله عليه وسلم، يجمع بين التثبيت والتكريم والربط بالله في أحلك اللحظات. فالمعنى الإجمالي يتمحور حول دعوة النبي إلى الثبات والرضا على ما قضاه الله من أقدار في مسيرة الدعوة، وما قد يواجه من صدود أو أذى، مقرونًا بتعهد إلهي بالعناية والرعاية الخاصة: "فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا"، وهي عبارة تنضح بالعطف واللطف، وتدل على دوام الحفظ والرقابة والعناية الإلهية من دون انقطاع.

أما الملامح الدلالية العميقة في الآية، فتظهر في تلازم الأمر بالصبر مع إشراق المعية الربانية، مما يوحي بأن الصبر هنا ليس مجرد تحمّل، بل مقام روحي عالٍ يتغذى من الشعور بالقرب من الله. ثم تأتي التوصية بالتسبيح، لا سيما "حين تقوم"، أي حين تنهض من نومك أو تقوم من مجلسك، وهي لحظة انتقال بين حالين، تُذكّر بتجديد العهد مع الله والارتباط به في كل تقلبات الحياة. فالتسبيح هنا ليس ترديدًا لفظيًا فحسب، بل هو تأسيس لحالة روحية متصلة بالله في كل الأوقات، يتداخل فيها الصبر والتسبيح والرعاية في نسيج متكامل من الإيمان العميق.

أما الآية الثانية:

فقد تضمن معنى لفظ الصبر في سياقها بنفس المعنى ولكن جاء في سياق ضرب مثل بقصة يونس عليه السلام، عندما ذهب مغاضباً من قومة فالتقمه الحوت وجعله في بطنه محافظاً عليه حتى مضى قدر الله تعالى.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك.

---

١ – سورة الطور، الآية: ٤٨.

٢ – سورة القلم، الآية: ٤٨.

٣ – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧: ٧٨.

٤ – السمرقندي، بحر العلوم، ٣: ٣٥٧.

﴿ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس بن مَتَّى عليه السلام، الذي حبسه في بطنه، فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه "[١].

وقال ابن عطية: "أمر تعالى نبيه بالصبر لحكمه، وأن يمضي لما أمر به من التبليغ واحتمال الأذى والمشقة، ونهى عن الضجر والعجلة التي وقع فيها يونس عليه السلام" [٢].

فالآية الكريمة تأتي في سياق تأديبي رقيق وتوجيه نبوي دقيق، يجمع بين الحثّ على الصبر والتحذير من العجلة في الدعوة أو ضيق الصدر من تأخُّر النصر أو استبطاء تحقق وعد الله. فالمعنى الإجمالي يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى التزام الصبر التام لحكم الله تعالى في مسيرته الدعوية، مع التنبيه ألّا يسلك مسلك يونس عليه السلام "صاحب الحوت" حين ضاق صدره واستعجل القوم فغادرهم غاضبًا، فابتلاه الله حتى نادى وهو "مكظوم"، أي مملوء الحشا من الحزن والضيق.

ومن الملامح العميقة التي تحمله الآية في سياقها، تتمثل في المقارنة الضمنية التي ترسّخ مفهوم التوازن في مقام النبوة، فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس كغيره، بل هو مأمور بتحقيق الكمال في الطاعة والتسليم لحكم الله دون تردد أو جزع. والإشارة إلى "صاحب الحوت" لا تنقص من قدر يونس عليه السلام، وإنما تسوق قصته مثالًا لخطورة استعجال النتائج قبل تمام البصيرة والصبر، فالسياق يُحمّل النبي مسؤولية التريث في مواجهة المكذبين، ويمنحه في الوقت ذاته مكانة سامية بصبره وتوكله. فهذه الآية تشكّل درسًا بليغًا في التوازن بين الغيرة على الدعوة، وضرورة التسليم والتثبّت في مقام العبودية.

فالخلاصة: توجّه الآيتان النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقام رفيع من الصبر والتسليم لحكم الله، مقرونًا بالعناية الإلهية والتثبيت الروحي. ففي الأولى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، يظهر لطف العناية الربانية المرافقة للصبر، مقرونة بالتسبيح الذي يجدد الصلة بالله في كل حال. وفي الثانية: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، تحذير لطيف من العجلة والضيق، وتأكيد على ضرورة الثبات وعدم استعجال النتائج، تأسّيًا بالكمال النبوي. فالمعنى العام يدور حول تربية النفس النبوية على التوازن بين العمل والصبر، والانضباط تحت مظلة المراقبة والتسبيح والتسليم.

الوحدة الخامسة والاخيرة: الصبر بمعنى الصبر يعينه على المكاره:

ويظهر هذا المعنى واضحاً وجلياً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[٤].

---

١ – سورة الحج، الآية: ٣٥.

٢ – ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥: ٣٥٤.

٣ – سورة ص، الآية: ٤٤.

٤ – سورة الحج، الآية: ٣٥.

ففي الآية الأولى:

يكاد أهل التفسير مجمعون في المراد بمعنى الصبر هنا، بمعنى التحمل، فلنستعرض أقوال المفسرين التي تسعفنا في تحقيق هذا المفهوم.

قال الطبري: وقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ يقول: "إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته""(١).

قال السمرقندي:" إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً على البلاء الذي ابتليناه نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ يعني: مقبل على طاعة ربه. وقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، ومكث يوسف في السجن سبع سنين، ويقال: إِنَّهُ أَوَّابٌ لما هلك ماله. قال: كان ذلك من عطاء الله، ولما هلك أولاده قال: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ" (٢).

الآية الكريمة: تمثّل شهادة ربانية عظيمة في حق نبي الله أيوب عليه السلام، وتختصر في ألفاظها القليلة عظمة مقامه وعلو منزلته. فالمعنى الإجمالي يبيّن أن الله تعالى قد اختبر عبده أيوب فوجد فيه الصبر الكامل والرضا، رغم ما لقيه من شدة البلاء في الجسد والأهل والمال. وهذا الثناء الإلهي: "نِعْمَ الْعَبْدُ"، لا يُمنح إلا لمن استوفى مراتب العبودية الراقية، وأعظمها الصبر والرجوع الدائم إلى الله.

ومن الملامح العميقة في الآية، تتجلى في الجمع بين "الصبر" و"الأوبة"، فليس الصبر هنا تحمّلًا سلبيًا، بل هو صبر موصول بقلق التوجه إلى الله، ورجوع دائم إلى رحمته، حتى في ذروة الألم. كلمة "أوّاب" توحي بنفَس روحي عميق، لشخص لا يفتر قلبه عن الرجوع إلى الله في كل لحظة، مما يُظهر أن العبد الكامل هو من يجمع بين الثبات في المحن وكثرة الإنابة في الرخاء والضراء. وهذه الآية بذلك ترسم ملامح القدوة الكاملة في العبودية، التي تنبع من أعماق الوجدان الصابر واللسان الذاكر والقلب الراجع.

وفي الآية الثانية:

فقد تضمن معنى لفظ الصبر في سياقها بنفس المعنى، ولكن جاء في سياقٍ عام للمؤمنين الذين من صفاتهم المحمودة انهم يصبرون على المكاره برمتها كَالْأَمْرَاضِ وَالْمِحَنِ وَالْمَصَائِبِ، ويعتبرونها عطاءات ومنح الاهيه تزداد بها اجورهم وثوابهم من الله تعالى.

قال الرازي: "الصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصابَهُمْ وَعَلَى مَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ اللَّه تَعَالَى، لِأَنَّهُ الَّذِي يَجِبُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ كَالْأَمْرَاضِ وَالْمِحَنِ وَالْمَصَائِبِ"(٣).

قال الطبري: قوله:" ﴿والصَّابِرِينَ عَلى ما أَصَابَهُمْ﴾ من شدّة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه "(٤).

---

١ – الطبري، جامع البيان، ٢١: ٢١٤.

٢ – السمرقندي، بحر العلوم، ٣: ١٦٩.

٣ – الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣: ٢٢٥.

٤ – الطبري، جامع البيان، ١٨: ٦٢٩.

الآية الكريمة: تبرز ملامح الشخصية الإيمانية المتكاملة من خلال ثلاث خصال جامعة: الصبر، والصلاة، والإنفاق. فالمعنى الإجمالي يتمثل في وصف طائفة من المؤمنين الذين تميزوا بالثبات أمام الابتلاءات، والدوام على إقامة الصلاة بحقها، والبذل مما أعطاهم الله، وهي صفات تندرج ضمن مشهد من التفاعل الحقيقي مع الإيمان، لا يُقصر على الشعور القلبي، بل يمتد ليصوغ السلوك العملي.

ومن الملامح العميقة، فتدل على أن الصبر المذكور هنا هو صبر واعٍ، لا خضوعًا سلبيًا، بل موقفًا نابعًا من رضا وتسليم لله، يتجلّى في التماسك عند الشدائد. ويأتي بعده ذكر "إقامة الصلاة"، لا مجرد أدائها، مما يشير إلى حضور القلب والانضباط الروحي، وكأن الصلاة تمثل امتدادًا داخليًا لذلك الصبر. ثم يُختم بالإنفاق مما رزقهم الله، وهو ثمرة نفس صابرة خاشعة متصلة بالله، تفيض بالبذل والعطاء. فهذه الصفات الثلاث تشكّل نسقًا تعبّديًا متكاملًا، يربط بين ما في القلب من يقين، وما في الجوارح من عبادة، وما في المال من حقوق.

ففي سياق سورة الحج، التي تتميز بطابعها التربوي والتوجيهي، تأتي الآية : ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ضمن وصفٍ لصفات عباد الله الذين خالط الإيمان قلوبهم، في مشهد يرتبط بمقاصد السورة الكبرى، وعلى رأسها ترسيخ معاني الابتلاء والصبر والعبودية الخالصة. فالسورة تتناول في بنائها العام مشهدًا من التحولات الكبرى، سواء في العقيدة أو في التشريع (منها تشريع القتال والحج)، وتبرز أن العبودية لا تُختبر في لحظات السكون، بل عند نزول الشدائد.

وهنا يظهر هذا النموذج الإيماني الموصوف: صابرٌ في موضع البلاء، مقيمٌ للصلاة في حال الرضا والضراء، منفقٌ من رزقه في زمن الشدة والرخاء، وكلها تمثّل مظاهر عبودية متكاملة، تعكس نضجًا إيمانياً يتجاوز الشعارات إلى الفعل. فالسورة تهدف إلى بناء الفرد المؤمن الذي يُحسن الصبر، ويقيم صلته بربه، ويتجاوز ذاته بالعطاء، ليكون مهياً لحمل أمانة الاستخلاف والجهاد في سبيل الله، التي بدأت تُرسم ملامحها في هذه السورة.

الخلاصة التي تجمع بين الآيتين:

هي أن الصبر في القرآن ليس حُلقًا منفصلًا، بل هو جوهر العبودية، وعلامة الإيمان العميق. فالأولى تمثل الثناء الإلهي على فرد اختبره الله ووجده صابرًا أوّابًا، فاستحق وسام "نِعْمَ العبد"، والثانية تصف جماعة من المؤمنين الذين يثبتون على ما أصابهم، فيعبّرون عن صبرهم بالصلاة المتواصلة والإنفاق الكريم، مما يشير إلى أن الصبر الحقيقي يتجلّى في دوام الرجوع إلى الله، وثبات السلوك التعبدي والإنساني.

وهكذا، تجمع الآيتان بين البعد الفردي النموذجي (أيوب) والبعد الجماعي العملي (المؤمنين)، ليؤكدا أن الصابرين هم أهل القرب، وأصحاب العمل، وأن الصبر ليس حالًا داخليًا فحسب، بل منهج حياة يظهر في الصلة بالله والبذل للخلق.

الخاتمة:

لقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

١. نظر الباحث إلى مفهوم "الصبر" في القرآن الكريم، من خلال منهج الدراسة المصطلحية وهي دراسة تهدف إلى تبين المفاهيم وبيانها، بإتباع أصول وأدوات منهجية تعتمد الوصف وتجمع بين التحليل والتركيب، والاستقراء والاستنباط، كما يتجلى ذلك من خطواتها وإجراءاتها، سواء في الإعداد أم في العرض.

٢. يتخذ مصطلح "الصبر" في القرآن الكريم معانيه التي تستمد أصلها في اللغة من معنى" الثبات والتحمل، وعدم الشكوى" وتتشعب داخل سياقات النصوص القرآنية لتشمل معاني جزئية تؤول إلى معانيهما سابقة الذكر أعلاه.

٣. إن أهم ما يميز مصطلح "الصبر" في القرآن، كونه مصطلحاً، كثير الورود– من حيث عدد مرات الورود في القرآن الكريم– كغيره من المصطلحات الغنية بالمفاهيم كمصطلح الإيمان والإسلام مثلا، حيث يتبوأ موقعا بين المفاهيم الدالة على تجليات البعد العقدي للإسلام، وذلك بإيمان المسلم والتزامه بالأوامر والنواهي الإلهية.

٤. لقد كشف تعريف مصطلح "الصبر" من جميع زواياه، عن خصوبة كبيرة عبرت عن نفسها من خلال أواصر القربى التي تشد المعاني الاصطلاحية من جهة، وتشد مفهوم الصبر في الاصطلاح القرآني من جهة أخرى، إلا أن تتبع سمات هذا المفهوم في المتن المدروس، قد أسفر عن غنى وتنوع مقدرين فيها، ولكن تبقى هناك قضية يجب أن ننتبه إليها وهي: أن كل مصطلح يدخل مجال التداول القرآني الرحب يجب أن يأخذ بعين الاعتبار انك تعالج مفهوم مصطلح محكوماً برؤية خاصة للألوهية والكون والحياة والإنسان، فشتان بين معنى اللفظ في الاستعمال العادي، وبين معناه وهو يتخذ موقعة داخل منظومة مفاهيم الإسلام.

وبناءً على ما سلف: يجزم الباحث، أن هذه النتائج والثمار السالفة الذكر، ليست بدعاً من القول في الدراسات القرآنية، إنها ثمارٌ تنتمي إلى شجرة من البحث تمتد جذورها في مجالات التفسير واللغة والأصول التي تعد من تراث هذه الأمة؛ الواجب الحفاظ عليها. ومع هذا تبقى شجرة تحتاج إلى من يغذي جذورها، ويروي ترابها؛ –كي يزداد أصلها ثباتاً، وتمتد فروعها يانعةً في السماء– بالتأصيل والتحقيق العلمي والشرعي، لمناهج الدراسات القرآنية عامة، ومنهج دراسة مصطلحاتها خاصة.

إن تطبيق منهج الدراسة المصطلحية، أوقف الباحث على تذوق خصوصية المصطلحات القرآنية التي تتسم بغنى المعاني، يقف معها الباحث مؤمناً ومتيقناً أنها مصطلحات من لدن حكيم عليم كيف لا؟ ! والأمر يتعلق بمفاهيم كتاب لا ينضب له معين، ولا تنتهي عجائبه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا[١]﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

---

١ – سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

٢ – سورة لقمان، الآية: ٢٧.

التوصيات:

١. تبني كليات الشريعة في الجامعات مثل هذه الدراسات في أروقة أقسامها المتعلقة بدراسة المصطلحات القرآنية دراسة مصطلحية بحته، تحقق بمقتضاها جودة في الفهم وصفاءً في المشرب، وشمولً في النظرة، وتحصيلاً للتدبر في آيات الله تعالى؛ كونها تفتقر لمثل هذه الدراسات.

٢. من منطلق الإغناء الذي يوفره منهج الدراسة المصطلحية، يوصي الباحث الأخوة الباحثين والدارسين لكتاب الله العزيز؛ لتطويره وتحسين عطائه على مدى الزمان.

المصادر والمراجع:

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،ط: ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (د.ط)، بونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.

٣. ابن فارِس، أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط: ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٥. البوشيخي، الشاهد بن محمد، نظرات في المصطلح والمنهج، دراسات مصطلحية(٢)، ط: ١، فاس: مطبعة انفوا برانت،٢٠٠٢م.

٦. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية ب، ١٩٨٣م.

٧. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عطار، ط: ١، بيروت: دار العلم للملاين، ١٩٨٧م.

٨. الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط: ٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

٩. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط: ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

١٠. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط: ١، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢ هـ.

١١. السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق علي محمد معوض واخرين، ط: ٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

١٢. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: ١،بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٣. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، ط: ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٠م.